مَوْقِعُ جَامِعَةِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَة الْحَادِيَة عَشْرَة)

مِنْ مَادَّةِ:

دَعَائِمِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

منهاج النبوة
www.menhag-un.com

مِنْ عَلَامَاتِ أَهْلِ السُّنَّةِ
حُبُّ أَئِمَّةِ السُّنَّةِ، وَعُلَمَائِهَا

ذَكَرَ عُلَمَاؤُنَا -رَحِمَهُمُ اللهُ- فِي مُصَنَّفَاتِهِمْ فِي الْعَقِيدَةِ مَا كَانَ عَلَيْهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَ رضي الله عنهم، وَذَكَرُوا كَثِيرًا مِنْ عَلَامَاتِ أَهْلِ السُّنَّةِ، أَهْلِ الْحَدِيثِ.

قَالَ الصَّابُونِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- فِي «عَقِيدَةِ السَّلَفِ»، فِي بَيَانِ عَلَامَاتِ أَهْلِ السُّنَّةِ: «وَإِحْدَىٰ عَلَامَاتِ أَهْلِ السُّنَّةِ: حُبُّهُمْ لِأَئِمَّةِ السُّنَّةِ، وَعُلَمَائِهَا، وَأَنْصَارِهَا، وَأَوْلِيَائِهَا، وَبُغْضُهُمْ لِأَئِمَّةِ البِدَعِ الَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَىٰ النَّارِ، وَيَدُلُّونَ أَصْحَابَهُمْ عَلَىٰ دَارِ البَوَارِ.

وَقَدْ زَيَّنَ اللهُ سُبْحَانَهُ قُلُوبَ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَنَوَّرَهَا بِحُبِّ عُلَمَاءِ السُّنَّةِ، فَضْلًا مِنْهُ ﷻ وَمِنَّةً.

أَخْبَرَنَا الحَاكِمُ أَبُو عَبْدِ اللهِ الحَافِظُ -أَسْكَنَنَا اللهُ وَإِيَّاهُ الجَنَّةَ- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الفَضْلِ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ سَلَمَةَ، قَرَأَ عَلَيْنَا أَبُو رَجَاءٍ قُتَيْبَةُ ابْنُ سَعِيدٍ كِتَابَ الإِيمَانِ لَهُ، فَكَانَ فِي آخِرِهِ: «إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يُحِبُّ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ، وَمَالِكَ بْنَ أَنَسٍ، وَالأَوْزَاعِيَّ، وَشُعْبَةَ، وَابْنَ المُبَارَكِ، وَأَبَا الأَحْوَصِ،

وَشَرِيكًا، وَوَكِيعًا، وَيَحْيَىٰ بْنَ سَعِيدٍ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ مَهْدِيٍّ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ صَاحِبُ سُنَّةٍ».

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ سَلَمَةَ: فَأَلْحَقْتُ بِخَطِّي تَحْتَهُ: وَيَحْيَىٰ بْنَ يَحْيَىٰ، وَأَحْمَدَ ابْنَ حَنْبَلٍ، وَإِسْحَاقَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ رَاهُويَهْ، فَلَمَّا انْتَهَىٰ إِلَىٰ هَذَا المَوْضِعِ، نَظَرَ إِلَيْنَا أَهْلُ نَيْسَابُورَ، وَقَالَ: هَؤُلَاءِ القَوْمِ يَتَعَصَّبُونَ لِيَحْيَىٰ بْنِ يَحْيَىٰ، فَقُلْنَا لَهُ: يَا أَبَا رَجَاءٍ مَا يَحْيَىٰ بْنُ يَحْيَىٰ، قَالَ: رَجُلٌ صَالِحٌ إِمَامُ المُسْلِمِينَ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ إِمَامٌ، وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ عِنْدِي أَكْبَرُ مِمَّن سَمَّيتهم كُلِّهِم.

وَأَنَا أَلْحَقْتُ بِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ ذَكَرَ قُتَيْبَةُ رَحِمَهُ اللَّهُ، أَنَّ مَنْ أَحَبَّهُمْ فَهُوَ صَاحِبُ سُنَّةٍ، مِنْ أَئِمَّةِ أَهْلِ الحَدِيثِ الَّذِينَ بِهِمْ يَقْتَدُونَ وَبِهَدْيِهِمْ يَهْتَدُونَ، وَمِنْ جُمْلَتِهِمْ وَمُتَّبِعِيهِمْ وَشِيعَتِهِمْ أَنْفُسِهِمْ يُعَدُّونَ، وَفِي اتِّبَاعِهِمْ آثَارَهُمْ يَجِدُّونَ، جَمَاعَةً آخَرِينَ، مِنْهُمْ: مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ الشَّافِعِيُّ....»[1].

وَذَكَرَ جَمَاعَةً مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ، لِأَنَّ مِنْ عَلَامَاتِ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّهُمْ يُحِبُّونَ أَئِمَّةَ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَعُلَمَاءَ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَالمُنْتَسِبِينَ إِلَىٰ السُّنَّةِ، وَيُبْغِضُونَ أَئِمَّةَ أَهْلِ البِدَعِ، وَأَهْلَ البِدَعِ، وَالمُنْتَسِبِينَ إِلَىٰ البِدَعِ، لِأَنَّ اللهَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- جَعَلَ هَذِهِ العَلَامَةَ اللَّائِحَةَ دَلِيلًا عَلَىٰ انْتِسَابِهِمْ، وَعَلَامَةً عَلَىٰ صِدْقِهِمْ، وَلِأَنَّ الاعْتِقَادَ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ جَمِيعًا هُوَ اعْتِقَادُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَإِنْ تَمَادَتْ بِهِ الأَجْيَالُ، وَهَذَا مِنْ عَلَامَاتِ صِدْقِهِمْ فِي طَرِيقِهِمْ، وَفِي انْتِسَابِهِمْ، وَفِي اعْتِقَادِهِمْ،

(١) «عقيدة السلف وأصحاب الحديث» (ص٣٠٧) ط. دار العاصمة.

أَنَّكَ تَجِدُ الرَّجُلَ فِي أَقْصَىٰ الشَّمَالِ يَقُولُ الكَلِمَةَ مِنَ الحَقِّ، يَقُولُهَا الرَّجُلُ فِي أَقْصَىٰ الجَنُوبِ، وَتَجِدُ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي أَقْصَىٰ الشَّرْقِ يَقُولُ الكَلِمَةَ مِنَ الحَقِّ، يَقُولُهَا الرَّجُلُ فِي أَقْصَىٰ الغَرْبِ، فَكَلِمَتُهُمْ وَاحِدَةٌ لِأَنَّ المَعِينَ وَاحِدٌ، وَهُوَ كِتَابُ اللهِ وَسُنَّةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَهُمْ جَمِيعًا اتَّفَقُوا عَلَىٰ القَوْلِ بِقَهْرِ أَهْلِ البِدَعِ، وَإِذْلَالِهِمْ، وَإِخْزَائِهِمْ، وَإِبْعَادِهِمْ، وَإِقْصَائِهِمْ، وَالتَّبَاعُدِ مِنْهُمْ، وَمِنْ مُصَاحَبَتِهِمْ وَمُعَاشَرَتِهِمْ، مَعَ التَّقَرُّبِ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ بِمُجَانَبَتِهِمْ، وَمُهَاجَرَتِهِمْ.

قَالَ الصَّابُونِيُّ الإِمَامُ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- فِي كِتَابِهِ العَظِيمِ «عَقِيدَةُ السَّلَفِ»[1]: «وَأَنَا بِفَضْلِ اللهِ ﷻ وَمَنِّهِ مُتَّبِعٌ لِآثَارِهِمْ، مُسْتَضِيءٌ بِأَنْوَارِهِمْ، نَاصِحٌ لِإِخْوَانِي وَأَصْحَابِي أَلَّا يَرْفَعُوا غَيْرَ مَنَارِهِمْ، وَلَا يَتَّبِعُوا غَيْرَ أَقْوَالِهِمْ، وَلَا يَشْتَغِلُوا بِهَذِهِ المُحْدَثَاتِ مِنَ البِدَعِ الَّتِي اشْتَهَرَتْ فِيمَا بَيْنَ المُسْلِمِينَ، وَالمَنَاكِيرِ مِنَ المَسَائِلِ الَّتِي ظَهَرَتْ وَانْتَشَرَتْ، وَلَوْ جَرَتْ وَاحِدَةٌ مِنْهَا عَلَىٰ لِسَانِ وَاحِدٍ فِي عَصْرِ أُولَئِكَ الأَئِمَّةِ لَهَجَرُوهُ، وَبَدَّعُوهُ، وَلَكَذَّبُوهُ، وَأَصَابُوهُ بِكُلِّ سُوءٍ وَمَكْرُوهٍ.

وَلَا يَغُرَّنَّ إِخْوَانِي -حَفِظَهُمُ اللهُ- كَثْرَةُ أَهْلِ البِدَعِ، وَوُفُورُ عَدَدِهِمْ، فَإِنَّ وُفُورَ أَهْلِ البَاطِلِ، وَقِلَّةَ عَدَدِ أَهْلِ الحَقِّ، مِنْ عَلَامَاتِ اقْتِرَابِ اليَوْمِ الحَقِّ،

(١) (ص/ ٣١٦. ط دار العاصمة).

www.menhaj-un.com

فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَمَارَاتِ اقْتِرَابِ السَّاعَةِ، إِذِ الرَّسُولُ المُصْطَفَىٰ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ مِنْ عَلَامَاتِ السَّاعَةِ وَاقْتِرَابِهَا أَنْ يَقِلَّ العِلْمُ وَيَكْثُرَ الجَهْلُ**»(١). وَالعِلْمُ هُوَ السُّنَّةُ وَالجَهْلُ هُوَ البِدْعَةُ».

قُلْتُ: فَلَا يَغُرَّنَّ إِخْوَانِي -حَفِظَهُمُ اللهُ- كَثْرَةُ أَهْلِ البِدَعِ، وَوُفُورُ عَدَدِهِمْ؛ فَإِنَّ وُفُورَ أَهْلِ البَاطِلِ، وَقِلَّةَ عَدَدِ أَهْلِ الحَقِّ، مِنْ عَلَامَاتِ اقْتِرَابِ اليَوْمِ الحَقِّ.

وَقَالَ ﷺ كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: «**إِنَّ الإِيمَانَ لَيَأْرِزُ إِلَىٰ المَدِينَةِ كَمَا تَأْرِزُ الحَيَّةُ إِلَىٰ جُحْرِهَا**»(٢).

وَقَالَ ﷺ كَمَا عِنْدَ مُسْلِمٍ فِي صَحِيحِهِ مِنْ رِوَايَةِ أَنَسٍ ﷺ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ لَا يُقَالَ فِي الأَرْضِ: اللهُ اللهُ**»(٣).

قَالَ الصَّابُونِيُّ(٤): (وَمَنْ تَمَسَّكَ اليَوْمَ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَعَمِلَ بِهَا، وَاسْتَقَامَ عَلَيْهَا، وَدَعَا إِلَيْهَا، كَانَ أَجْرُهُ أَوْفَرَ وَأَكْثَرَ مِنْ أَجْرِ مَنْ جَرَىٰ عَلَىٰ هَذِهِ الجُمْلَةِ مِنَ الاعْتِقَادِ فِي أَوَائِلِ الإِسْلَامِ وَالمِلَّةِ، إِذِ الرَّسُولُ المُصْطَفَىٰ ﷺ قَالَ: «**لَهُ أَجْرُ خَمْسِينَ، فَقِيلَ: خَمْسِينَ مِنْهُمْ؟ قَالَ: بَلْ مِنْكُمْ**»(٥)).

---

(١) أخرجه البخاري (٨٠)، ومسلم (٢٦٧١) من حديث أنس بن مالك ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري (١٨٧٦)، ومسلم (١٤٧) من حديث أبي هُرَيْرَةَ ﷺ.

(٣) أخرجه مسلم (١٤٨) من حديث أنس بن مالك ﷺ.

(٤) «عقيدة السلف» (ص٣١٧).

(٥) أخرجه أبو داود (٤٣٤١)، والترمذي (٣٠٥٨)، وابن ماجه (٤٠١٤) من طريق عتبة بن =

فَيَا بُشْرَىٰ لِمَنْ تَمَسَّكَ اليَوْمَ بِسُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَعَمِلَ بِهَا، وَاسْتَقَامَ عَلَيْهَا، وَدَعَا إِلَيْهَا، وَهَذِهِ البُشْرَىٰ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ هِي: «**لَهُ أَجْرُ خَمْسِينَ**»، فَقِيلَ: خَمْسِينَ مِنْهُمْ، قَالَ: «**بَلْ مِنْكُمْ**».

وَإِنَّمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ ذَلِكَ لِمَنْ يَعْمَلُ بِسُنَّتِهِ عِنْدَ فَسَادِ أُمَّتِهِ، عِنْدَ وَفْرَةِ البِدَعِ، وَتَكَاثُرِ أَهْلِهَا، وَتَكَالُبِهِمْ عَلَىٰ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَمُحَارَبَتِهِمْ لِمَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

رَوَىٰ أَبُو عُثْمَانَ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- بِسَنَدِهِ -وِجَادَةً- حَتَّىٰ بَلَغَ ابْنَ شِهَابٍ -هُوَ الزُّهْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ- قَالَ: «تَعْلِيمُ سُنَّةٍ أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةِ مِئَتَيْ سَنَةٍ»[1].

=

أبي حكيم، عن عَمْرو بن جارية، عن أبي أمية الشعباني، عن أبي ثعلبة الخشني ﷺ ... به، ولَفْظه: عن أبي أُمَيَّةَ الشَّعبانيِّ قَالَ: سألتُ أبا ثعلبةَ الخشنيَّ فقلتُ: يا أبا ثعلبةَ كيف تقولُ في هذه الآية: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ قَالَ: أما والله لقد سألتَ عنها خبيرًا، سألتُ عنها رسولَ الله ﷺ فقَالَ: «**بل ائْتَمِرُوا بالمعروفِ، وتناهَوْا عن المنكرِ، حَتَّىٰ إذا رأيتَ شُحًّا مُطاعًا، وَهَوًىٰ مُتَّبَعًا، ودُنيا مُؤْثَرَةً، وإعجابَ كُلِّ ذِي رَأيٍ بِرَأيِهِ، فَعَلَيْكَ** -يعني بنفسكَ-، **وَدَعْ عنكَ العَوَامَّ، فإنَّ مِن وَرَائِكُم أيَّامَ الصَّبْرِ، الصَّبْرُ فِيهِنَّ مِثْلُ القَبْضِ علىٰ الجمرِ، للعَامِلِ فِيهِنَّ مِثلُ أَجرِ خَمسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِكُم**»، وزادني غيره: قَالَ: يا رسولَ الله، أَجْرُ خمسينَ منهم؟ قَالَ: «**أَجْرُ خمسينَ مِنْكُم**».

قَالَ الترمذي: «هذا حديث حسن غريب». اهـ

انظر: «صحيح الترغيب» (٣١٧٢)، و«السلسلة الصحيحة» (٤٩٤).

(١) «عقيدة السلف وأصحاب الحديث» (ص ٣١٨ ط دار العاصمة).

وَأَخْرَجَ أَيْضًا أَنَّ أَبَا مُعَاوِيَةَ الضَّرِيرَ كَانَ يُحَدِّثُ هَارُونَ الرَّشِيدَ، فَحَدَّثَهُ بِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَهُوَ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ: «**احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَىٰ**». فَقَالَ عِيسَىٰ بْنُ جَعْفَرٍ: كَيْفَ هَذَا وَبَيْنَ آدَمَ وَمُوسَىٰ مَا بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: فَوَثَبَ بِهِ هَارُونُ وَقَالَ: يُحَدِّثُكَ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ وَتُعَارِضُهُ بِكَيْفَ؟! قَالَ: فَمَا زَالَ يَقُولُ حَتَّىٰ سَكَتَ عَنْهُ[1].

هَكَذَا يَنْبَغِي لِلْمَرْءِ أَنْ يُعَظِّمَ أَخْبَارَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَيُقَابِلَهَا بِالقَبُولِ وَبِالتَّسْلِيمِ وَالتَّصْدِيقِ، وَيُنْكِرَ أَشَدَّ الإِنْكَارِ عَلَىٰ مَنْ يَسْلُكُ فِيهَا غَيْرَ هَذَا الطَّرِيقِ الَّذِي سَلَكَهُ هَارُونُ الرَّشِيدُ رَحِمَهُ اللهُ مَعَ مَنِ اعْتَرَضَ عَلَىٰ الخَبَرِ الصَّحِيحِ الَّذِي سَمِعَهُ بِكَيْفَ! عَلَىٰ طَرِيقِ الإِنْكَارِ لَهُ، والاستبعَادِ لَهُ، وَلَمْ يَتَلَقَّهُ بِالقَبُولِ كَمَا يَجِبُ.

فَمِنْ أَخَصِّ عَلَامَاتِ أَهْلِ السُّنَّةِ -بَعْدَ تَوْحِيدِهِمْ رَبَّهُمْ، وَبَعْدَ اتِّبَاعِهِمْ لِنَبِيِّهِمْ ﷺ وَهُوَ مِنْ مُسْتَلْزَمَاتِ ذَلِكَ-: أَنَّهُمْ يُحِبُّونَ أَئِمَّةَ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَالدَّاعِينَ إِلَيْهَا.

وَإِذَا وَجَدْتَ الرَّجُلَ يُبْغِضُ أَهْلَ السُّنَّةِ، وَالدَّاعِينَ إِلَيْهَا، وَعُلَمَاءَهَا، فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ عَلَىٰ شَيءٍ، وَأَنَّ فِي قَلْبِهِ مَرَضًا، وَإِذَا وَجَدْتَ الرَّجُلَ هَوَاهُ مَعَ أَهْلِ البِدْعَةِ، وَمَقْصِدُهُ مَعَ أَهْلِ البِدْعَةِ، وَحَرَكَةُ حَيَاتِهِ مَعَ أَهْلِ البِدْعَةِ، وَهُوَ مُبْغِضٌ لِأَهْلِ السُّنَّةِ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ عَلَىٰ شَيءٍ، لِأَنَّ أَخَصَّ سِمَاتِ وَصِفَاتِ أَهْلِ الحَدِيثِ، أَهْلِ السُّنَّةِ، أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ، أَنَّ مَحَلَّ الوَلَاءِ وَالبَرَاءِ عِنْدَهُمْ: اتِّبَاعُ الرَّسُولِ ﷺ.

(١) «عقيدة السلف وأصحاب الحديث» (ص٣١٩).

www.menhag-un.com

فَإِنَّ لِلرَّجُلِ عَلَىٰ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ: سِمَاتٍ، وَأَوَّلُ هَذِهِ السِّمَاتِ، هُوَ أَنَّ مَحَلَّ الوَلَاءِ وَالبَرَاءِ عِنْدَهُ: اتِّبَاعُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَا مَحَلَّ عِنْدَهُ لِلْحِزْبِيَّةِ الَّتِي تَجْعَلُ شَخْصًا أَوْ مَبْدَأً أَوْ كِتَابًا غَيْرَ القُرْآنِ العَظِيمِ وَالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ مَحَلًّا لِلْوَلَاءِ وَالبَرَاءِ.

إِذْ كُلُّ مَنْ جَعَلَ مَتْبُوعَهُ مَحَلًّا لِلْوَلَاءِ وَالبَرَاءِ غَيْرَ الرَّسُولِ ﷺ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ التَّفَرُّقِ وَالاخْتِلَافِ.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ -فِي مَعْرِضِ كَلَامٍ لَهُ عَلَىٰ حَدِيثِ الافْتِرَاقِ-:

«وَأَمَّا تَعْيِينُ هَذِهِ الْفِرَقِ فَقَدْ صَنَّفَ النَّاسُ فِيهِمْ مُصَنَّفَاتٍ، وَذَكَرُوهُمْ فِي كُتُبِ الْمَقَالَاتِ؛ لَكِنَّ الْجَزْمَ بِأَنَّ هَذِهِ الْفِرْقَةَ الْمَوْصُوفَةَ هِيَ إِحْدَىٰ الثِّنْتَيْنِ وَالسَّبْعِينَ لَابُدَّ لَهُ مِنْ دَلِيلٍ؛ فَإِنَّ اللهَ حَرَّمَ الْقَوْلَ بِلَا عِلْمٍ عُمُومًا؛ وَحَرَّمَ الْقَوْلَ عَلَيْهِ بِلَا عِلْمٍ خُصُوصًا؛ فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف:٣٣]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٦٨-١٦٩].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ [الإسراء:٣٦].

وَأَيْضًا: فَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يُخْبِرُ عَنْ هَذِهِ الْفِرَقِ بِحُكْمِ الظَّنِّ وَالْهَوَىٰ، فَيَجْعَلُ طَائِفَتَهُ وَالْمُنْتَسِبَةَ إِلَىٰ مَتْبُوعِهِ المُوَالِيَةَ لَهُ هُمْ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ

وَيَجْعَلُ مَنْ خَالَفَهَا أَهْلَ البِدَعِ، وَهَذَا ضَلَالٌ مُبِينٌ، فَإِنَّ أَهْلَ الحَقِّ وَالسُّنَّةِ لَا يَكُونُ مَتْبُوعُهُمْ إِلَّا رَسُولَ اللهِ ﷺ الَّذِي ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم:٣-٤]. فَهُوَ الَّذِي يَجِبُ تَصْدِيقُهُ فِي كُلِّ مَا أَخْبَرَ؛ وَطَاعَتُهُ فِي كُلِّ مَا أَمَرَ، وَلَيْسَتْ هَذِهِ المَنْزِلَةُ لِغَيْرِهِ مِن الأَئِمَّةِ، بَلْ كُلُّ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ يُؤْخَذُ مِن قَوْلِهِ وَيُتْرَكُ إِلَّا رَسُولَ اللهِ ﷺ.

فَمَن جَعَلَ شَخْصًا مِنَ الأَشْخَاصِ -غَيْرَ رَسُولِ اللهِ ﷺ- مَنْ أَحَبَّهُ وَوَافَقَهُ كَانَ مِن أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ، وَمَنْ خَالَفَهُ كَانَ مِن أَهْلِ البِدْعَةِ وَالفُرْقَةِ -كَمَا يُوجَدُ ذَلِكَ فِي الطَّوَائِفِ مِن أَتْبَاعِ أَئِمَّةِ الكَلَامِ فِي الدِّينِ وَغَيْرِ ذَلِكَ- كَانَ مِن أَهْلِ البِدَعِ وَالضَّلَالِ وَالتَّفَرُّقِ»[1].

وهَذَا تَرَاهُ فِي الأَحْزَابِ المُخْتَلِفَةِ، وَالفِرَقِ الَّتِي انْحَرَفَتْ عَنْ **مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ**، وَفِي الجَمَاعَاتِ الَّتِي تَعْقِدُ الوَلَاءَ وَالبَرَاءَ عَلَىٰ غَيْرِ مَا جَاءَ بِهِ سَيِّدُ الأَنْبِيَاءِ، وَيَجْعَلُ الوَاحِدُ مِنْهُمْ مَنْ خَالَفَ فِرْقَتَهُ أَهْلَ البِدَعِ؛ وَهَذَا ضَلَالٌ مُبِينٌ، فَإِنَّ أَهْلَ الحَقِّ وَالسُّنَّةِ لَا يَكُونُ مَتْبُوعُهُمْ إِلَّا رَسُولَ اللهِ ﷺ الَّذِي لَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ، وَهُوَ الَّذِي يَجِبُ تَصْدِيقُهُ فِي كُلِّ مَا أَخْبَرَ وَطَاعَتُهُ فِي كُلِّ مَا أَمَرَ، وَلَيْسَتْ هَذِهِ المَنْزِلَةُ لِغَيْرِهِ بَلْ كُلُّ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ وَيُتْرَكُ إِلَّا الرَّسُولَ ﷺ.

فَمَنْ جَعَلَ شَخْصًا مِنَ الأَشْخَاصِ غَيْرَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، مَنْ أَحَبَّهُ وَوَافَقَهُ

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٣/ ٣٤٦).

كَانَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ، يَعْنِي مَنْ أَحَبَّ ذَلِكَ الشَّخْصَ، سِوَىٰ الرَّسُولِ ﷺ وَوَافَقَ ذَلِكَ الشَّخْصَ: كَانَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ؛ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ، وَمَنْ جَعَلَ شَخْصًا مِنَ الأَشْخَاصِ مَنْ خَالَفَهُ كَانَ مِنْ أَهْلِ البِدْعَةِ وَالفُرْقَةِ، كَمَا يُوجَدُ ذَلِكَ فِي الطَّوَائِفِ مِنْ أَتْبَاعِ أَئِمَّةِ الكَلَامِ فِي الدِّينِ وَغَيْرِ ذَلِكَ؛ كَانَ مِنْ أَهْلِ البِدَعِ وَالضَّلَالِ وَالتَّفَرُّقِ.

وَمِنْهُ تَعْلَمُ أَنَّ الَّذِينَ قَدْ تَحَيَّزُوا جَانِبًا، وَانْحَازُوا نَاحِيَةً، وَخَرَجُوا عَنِ السَّبِيلِ الأَعْظَمِ، وَعَنْ **مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ**، وَمَا كَانَ عَلَيْهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَنَصَبُوا لِلْأُمَّةِ مُرْشِدِيهِمْ وَأَئِمَّتَهُمْ وَأُمَرَاءَهُمْ، يُوَالُونَ عَلَيْهِمْ وَيُعَادُونَ -مِنْهُ تَعْلَمُ أَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ البِدْعَةِ، كَمَا قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ-.

وَبِهَذَا يَتَبَيَّنُ أَنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِأَنْ تَكُونَ هِيَ الفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ الَّتِي ذَكَرَهَا الرَّسُولُ ﷺ هُمْ أَهْلُ الحَدِيثِ وَالسُّنَّةِ، الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ مَتْبُوعٌ يَتَعَصَّبُونَ لَهُ سِوَىٰ الرَّسُولِ ﷺ.

وَهُمْ أَعْلَمُ النَّاسِ بِأَقْوَالِهِ وَأَحْوَالِهِ، وَأَعْظَمُهُمْ تَمْيِيزًا بَيْنَ صَحِيحِهَا وَسَقِيمِهَا، وَأَئِمَّتُهُمْ فُقَهَاءُ فِيهَا، وَأَهْلُ مَعْرِفَةٍ بِمَعَانِيهَا، وَهُمْ أَهْلُ الاتِّبَاعِ لَهَا تَصْدِيقًا وَعَمَلًا وَحُبًّا، وَمُوَالَاةً لِمَنْ وَالَاهَا، وَمُعَادَاةً لِمَنْ عَادَاهَا.

الَّذِينَ يَرُدُّونَ المَقَالَاتِ المُجْمَلَةَ إِلَىٰ مَا جَاءَ بِهِ مِنَ الكِتَابِ وَالحِكْمَةِ، فَلَا يَنْصِبُونَ مَقَالَةً وَيَجْعَلُونَهَا مِنْ أُصُولِ دِينِهِمْ وَجُمَلِ كَلَامِهِمْ، إِنْ لَمْ تَكُنْ ثَابِتَةً فِيمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ.

بَلْ يَجْعَلُونَ مَا بُعِثَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ مِنَ الكِتَابِ وَالحِكْمَةِ: الأَصْلَ الَّذِي يَعْتَقِدُونَهُ وَيَعْتَمِدُونَهُ[1].

فَهَذِهِ مِن أَخَصِّ عَلَامَاتِ أَهْلِ السُّنَّةِ، أَهْلِ الحَدِيثِ، السَّلَفِيِّينَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ النَّبِيَّ الأَمِينَ ﷺ، أَنَّ مَحَلَّ الوَلَاءِ وَالبَرَاءِ عِنْدَهُمُ اتِّبَاعُ الرَّسُولِ ﷺ، لَا يَنْصِبُونَ لِلْأُمَّةِ شَخْصًا يُوَالُونَ عَلَيْهِ، وَيُعَادُونَ عَلَيْهِ سِوَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَيْسَ عِنْدَهُمْ كِتَابٌ يُوَالُونَ عَلَيْهِ وَيُعَادُونَ عَلَيْهِ سِوَىٰ كِتَابِ اللهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- وَسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهَذَا هُوَ الأَصْلُ الَّذِي يَعْتَقِدُونَهُ وَيَعْتَمِدُونَهُ.

وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُ:

«لَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَنْصِبَ لِلْأُمَّةِ شَخْصًا يَدْعُو إِلَىٰ طَرِيقَتِهِ، وَيُوَالِي وَيُعَادِي عَلَيْهَا، غَيْرَ النَّبِيِّ ﷺ، وَلَا يَنْصِبُ لَهُمْ كَلَامًا يُوَالِي عَلَيْهِ وَيُعَادِي، غَيْرَ كَلَامِ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَا اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ الأُمَّةُ.

بَلْ هَذَا مِنْ فِعْلِ أَهْلِ البِدَعِ؛ الَّذِينَ يَنْصِبُونَ لَهُمْ شَخْصًا أَوْ كَلَامًا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الأُمَّةِ، يُوَالُونَ بِهِ عَلَىٰ ذَلِكَ الكَلَامِ، أَوْ تِلْكَ النِّسْبَةِ وَيُعَادُونَ.

وَالخَوَارِجُ إِنَّمَا تَأَوَّلُوا آيَاتٍ مِنَ القُرْآنِ عَلَىٰ مَا اعْتَقَدُوهُ، وَجَعَلُوا مَنْ خَالَفَ ذَلِكَ كَافِرًا، لِاعْتِقَادِهِمْ أَنَّهُ خَالَفَ القُرْآنَ.

(١) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٣/ ٣٤٦).

www.menhag-un.com

فَمَنِ ابْتَدَعَ أَقْوَالًا لَيْسَ لَهَا أَصْلٌ فِي القُرْآنِ، وَجَعَلَ مَنْ خَالَفَهَا كَافِرًا كَانَ قَوْلُهُ شَرًّا مِنْ قَوْلِ الخَوَارِجِ»[1].

❊ ❊ ❊

جامعة منهاج النبوة www.menhag-un.com

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٠/ ١٦٣).

مِنْ أَخَصِّ عَلامَاتِ أَهْلِ السنَّةِ: الاتِّبَاعُ

لَقَد أَمَرَ اللهُ تَعَالَىٰ عِبَادَهُ بِاتِّبَاعِ نَبِيِّهِ ﷺ، وَطَاعَتِهِ، وَالقَصِّ عَلَىٰ أَثَرِهِ، فِي آيَاتٍ كَثِيرةٍ، مِنْهَا:

قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران:٣٢].

وَقَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [آل عمران:١٣٢].

وَقَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٤-٦٥].

وَقَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ [الحشر:٧].

وَالآيَاتُ فِي هَذَا المَعنَىٰ كَثِيرةٌ، وَكُلُّهَا تَدُلُّ عَلَىٰ وُجُوبِ طَاعَةِ الرَّسُولِ ﷺ وَاتِّبَاعِهِ.

وَالأَحَادِيثُ فِي المَعْنَىٰ ذَاتِهِ كَثِيرةٌ كَثْرَةً ضَافِيَةً، مِنْهَا:

مَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَين مِن رِوَايَةِ أَبي هُرَيرَةَ ﷺ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ أَطَاعَنِي فَقَد أَطَاعَ الله، وَمَنْ عَصَانِي فَقَد عَصَىٰ اللهُ**»(١).

وَعِند البُخَارِيِّ مِن رِوَايَةِ أَبي هُرَيرَةَ ﷺ عَنِ النَّبيِّ ﷺ، قَالَ: «**كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَىٰ**»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَنْ يَأْبَىٰ؟ قَالَ: «**مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَد أَبَىٰ**»(٢).

وَالاتِّبَاعُ لَا يَتَحَقَّقُ إِلَّا إِذَا كَانَ العَمَلُ مُوافِقًا للشَّرِيعَةِ فِي أُمُورٍ سِتَّةٍ:

الأَوَّلُ: السَّبَبُ، فَإِذَا تَعَبَّد الإِنسَانُ للهِ عِبَادَةً مَقرُونَةً بِسَبَبٍ غَيرِ شَرْعِيٍّ، فَهِي بِدْعَةٌ مَردُودَةٌ عَلَىٰ صَاحِبِهَا؛ كَالَّذِي يُحْيِي لَيْلَةَ السَّابِع وَالعِشْرِينَ مِن رَجَبٍ بِحُجَّةِ أَنَّهَا اللَّيلَةُ الَّتِي عُرِجَ فِيهَا بِرَسُولِ الله ﷺ، فَالتَّهَجُّدُ عِبَادَةٌ، وَلَكِن لَمَّا قُرِنَ بِهَذَا السَّبَبِ كَانَ بِدْعَةً؛ لأَنَّه بُنِيَ عَلَىٰ سَبَبٍ لَم يَثْبُتْ شَرْعًا.

الثَّانِي: الجِنسُ، فَلَابُدَّ أَن تَكُونَ العِبَادَةُ مُوَافِقَةً للشَّرْعِ فِي جِنسِهَا، فَلَو تَعَبَّد إِنسَانٌ لله بِعِبَادَةٍ لَم يُشْرَعْ جِنسُهَا، فَهِي غَيرُ مَقْبُولَةٍ؛ كَالَّذِي يُضَحِّي بِفَرَسٍ، فَلَا يَصِحُّ أُضْحِيَةً؛ لأَنَّه خَالَفَ الشَّرِيعَةَ فِي الجِنْسِ؛ لأَنَّ الأَضَاحِيَ لَا تَكُونُ إِلَّا مِن بَهِيمَةِ الأَنعَامِ؛ الإِبِلِ، وَالبَقَرِ، وَالغَنَمِ.

---

(١) البخاري (٧٢٧٣)، ومسلم (١٨٣٥).

(٢) البخاري (٧٢٨٠).

الثَّالِثُ: القَدْرُ، فَلَو زَادَ فِي الصَّلَاةِ عَمْدًا لَا تَصِحُّ؛ لأَنَّهَا مُخَالِفَةٌ للشَّرعِ فِي القَدْرِ.

الرَّابِعُ: الكَيْفِيَّةُ، فَلَوْ أَنَّ رَجُلًا صَلَّىٰ فَقَدَّمَ السُّجُودَ عَلَىٰ الرُّكُوعِ، لَا تَصِحُّ؛ لِأَنَّهَا صَلَاةٌ مُخَالِفَةٌ لِلشَّرْعِ فِي الكَيْفِيَّةِ.

الخَامِسُ: الزَّمَانُ، فَلَوْ ضَحَّىٰ أَوَّلَ ذِي الحِجَّة، لَمْ تُقْبَلْ أُضْحِيَتُهُ، لِمُخَالَفَةِ الشَّرْعِ فِي الزَّمَانِ.

السَّادِسُ: المَكَانُ، فَلَوْ طَافَ مِنْ وَرَاءِ المَسْجِدِ فَلَا يَصِحُّ طَوَافُهُ؛ لِأَنَّ مَكَانَ الطَّوَافِ البَيْتُ.

فَالعِبَادَةُ لَا تَكُونُ عَمَلًا صَالِحًا إِذَا اخْتَلَّ شَرْطُ المُتَابَعَةِ لِلرَّسُولِ ﷺ، وَالمُتَابَعَةُ لَا تَصِحُّ إِلَّا بِالأُمُورِ السِّتَّةِ السَّابِقَةِ.

قَالَ البَرْبَهَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَاعْلَمْ -رَحِمَكَ اللهُ- أَنَّ مَنْ قَالَ فِي دِينِ اللهِ بِرَأْيِهِ وَقِيَاسِهِ، وَتَأْوِيلِهِ مِنْ غَيْرِ حُجَّةٍ مِنَ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ، فَقَدْ قَالَ عَلَىٰ اللهِ مَا لَا يَعْلَمُ، وَمَنْ قَالَ عَلَىٰ اللهِ مَا لَا يَعْلَمُ؛ فَهُوَ مِنَ المُتَكَلِّفِينَ.

وَالحَقُّ مَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالسُّنَّةُ: سُنَّةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَالجَمَاعَةُ: مَا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ.

وَمَنِ اقْتَصَرَ عَلَىٰ سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَمَا كَانَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ وَالجَمَاعَةُ،

www.mennag-un.com

فَلَجَ عَلَىٰ أَهْلِ البِدَعِ كُلِّهَا، وَاسْتَرَاحَ بَدَنُهُ، وَسَلِمَ لَهُ دِينُهُ إِنْ شَاءَ اللهُ.

وَمَنْ عَرَفَ مَا تَرَكَ أَصْحَابُ البِدَعِ مِنَ السُّنَّةِ، وَمَا فَارَقُوا فِيهِ فَتَمَسَّكَ بِهِ؛ فَهُوَ صَاحِبُ سُنَّةٍ وَصَاحِبُ جَمَاعَةٍ، وَحَقِيقٌ أَنْ يُتَّبَعَ، وَأَنْ يُعَانَ، وَأَنْ يُحْفَظَ، وَهُوَ مِمَّنْ أَوْصَىٰ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ»[1].

قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي بَيَانِ الأُمُورِ الَّتِي أَجْمَعَتْ عَلَيْهَا الأُمَّةُ مِنْ أُمُورِ الدِّيَانَةِ، وَمِنَ السُّنَنِ الَّتِي خِلَافُهَا بِدْعَةٌ وَضَلَالَةٌ: «التَّسْلِيمُ لِلسُّنَنِ لَا تُعَارَضُ بِرَأْيٍ، وَلَا تُدَافَعُ بِقِيَاسٍ، وَمَا تَأَوَّلَهُ مِنْهَا السَّلَفُ الصَّالِحُ تَأَوَّلْنَاهُ، وَمَا عَمِلُوا بِهِ عَمِلْنَاهُ، وَمَا تَرَكُوهُ تَرَكْنَاهُ، وَيَسَعُنَا أَنْ نُمْسِكَ عَمَّا أَمْسَكُوا عَنْهُ، وَنَتَّبِعَهُمْ فِيمَا بَيَّنُوا، وَنَقْتَدِيَ بِهِمْ فِيمَا اسْتَنْبَطُوهُ وَفِيمَا رَأَوْهُ فِي الحَوَادِثِ، وَلَا نَخْرُجُ مِنْ جَمَاعَتِهِمْ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ أَوْ فِي تَأْوِيلِهِ، وَكُلُّ مَا قَدَّمْنَا ذِكْرَهُ فَهُوَ قَوْلُ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَقَوْلُ أَئِمَّةِ النَّاسِ فِي الفِقْهِ وَالحَدِيثِ، عَلَىٰ مَا مَرَّ ذِكْرُهُ، وَكُلُّهُ قَوْلُ مَالِكٍ رَحِمَهُ اللهُ»[2].

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ ابْنُ أَبِي زَمَنِينَ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ-: «اعْلَمْ -رَحِمَكَ اللهُ- أَنَّ السُّنَّةَ دَلِيلُ القُرْآنِ، وَأَنَّهَا لَا تُدْرَكُ بِالقِيَاسِ، وَلَا تُؤْخَذُ بِالعُقُولِ، وَإِنَّمَا هِيَ فِي الاتِّبَاعِ لِلْأَئِمَّةِ، وَلِمَا مَشَىٰ عَلَيْهِ جُمْهُورُ هَذِهِ الأُمَّةِ، وَقَدْ ذَكَرَ اللهُ تَعَالَىٰ أَقْوَامًا أَحْسَنَ الثَّنَاءَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝١٧ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ

(١) «شرح السنة» (ص٩٦)

(٢) «الجامع» لابن أبي زيد القيرواني (ص ١٧) .

أَحْسَنَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [الزمر:١٧-١٨]، وَأَمَرَ عِبَادَهُ فَقَالَ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام:١٥٣]»[(١)].

وَقَالَ الأَصْبَهَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَيَنْبَغِي لِلْمَرْءِ أَنْ يَحْذَرَ مُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَالسُّنَّةُ إِنَّمَا هِيَ التَّصْدِيقُ لِآثَارِ الرَّسُولِ ﷺ، وَتَرْكُ مُعَارَضَتِهَا بِكَيْفَ وَلِمَ، وَالكَلَامُ وَالخُصُومَاتُ فِي الدِّينِ وَالجِدَالُ مُحْدَثٌ، وَهُوَ يُوقِعُ الشَّكَّ فِي القُلُوبِ، وَيَمْنَعُ مِنْ مَعْرِفَةِ الحَقِّ وَالصَّوَابِ، وَلَيْسَ العِلْمُ بِكَثْرَةِ الرِّوَايَةِ، وَإِنَّمَا العِلْمُ الاتِّبَاعُ وَالاسْتِعْمَالُ»[(٢)].

وَهَذِهِ جُمْلَةٌ حَسَنَةٌ جِدًّا: «لَيْسَ العِلْمُ بِكَثْرَةِ الرِّوَايَةِ، إِنَّمَا العِلْمُ الاتِّبَاعُ وَالاسْتِعْمَالُ».

يَقْتَدِي بِالصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، وَإِنْ كَانَ قَلِيلَ العِلْمِ، وَمَنْ خَالَفَ الصَّحَابَةَ وَالتَّابِعِينَ فَهُوَ ضَالٌّ وَإِنْ كَانَ كَثِيرَ العِلْمِ، وَيَعْمَلُ بِمَا عَلِمَ، فَيُقْرِنُ بَيْنَ العِلْمِ النَّافِعِ وَالعَمَلِ الصَّالِحِ.

قَالَ البَرْبَهَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَاعْلَمْ -رَحِمَكَ اللهُ-، أَنَّ الدِّينَ إِنَّما جَاءَ مِنْ قِبَلِ اللهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، لَمْ يُوضَعْ عَلَىٰ عُقُولِ الرِّجَالِ وَآرَائِهِمْ، وَعِلْمُهُ عِنْدَ اللهِ، وَعِنْدَ رَسُولِهِ، فَلَا تَتَّبِعْ شَيْئًا بِهَوَاكَ، فَتَمْرُقَ مِنَ الدِّينِ، فَتَخْرُجَ مِنَ

(١) «أصول السنة» لابن أبي زمنين (ص ٣٥).

(٢) «الحُجة في بيان المحَجَّة» للأصبهاني (٢/ ٤٦٩).

www.menhag-un.com

الإِسْلَامِ؛ فَإِنَّهُ لَا حُجَّةَ لَكَ؛ فَقَدْ بَيَّنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأُمَّتِهِ السُّنَّةَ، وَأَوْضَحَهَا لِأَصْحَابِهِ، وَهُمُ الجَمَاعَةُ، وَهُمُ السَّوَادُ الأَعْظَمُ، وَالسَّوَادُ الأَعْظَمُ: الحَقُّ وَأَهْلُهُ»[٣].

وَقَالَ الأَصْبَهَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «وَاعْلَمْ أَنَّ فَصْلَ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ المُبْتَدِعَةِ هُوَ مَسْأَلَةُ العَقْلِ؛ فَإِنَّهُمْ أَسَّسُوا دِينَهُمْ عَلَىٰ المَعْقُولِ، وَجَعَلُوا الاتِّبَاعَ وَالمَأْثُورَ تَبَعًا لِلْمَعْقُولِ، وَأَمَّا أَهْلُ السُّنَّةِ؛ فَقَالُوا: الأَصْلُ فِي الدِّينِ الاتِّبَاعُ، وَالمَعْقُولُ تَبَعٌ، وَلَوْ كَانَ أَسَاسُ الدِّينِ عَلَىٰ المَعْقُولِ لَاسْتَغْنَىٰ الخَلْقُ عَنِ الوَحْيِ، وَعَنِ الأَنْبِيَاءِ، وَلَبَطَلَ مَعْنَىٰ الأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَلَقَالَ مَنْ شَاءَ مَا شَاءَ، وَلَوْ كَانَ الدِّينُ بُنِيَ عَلَىٰ المَعْقُولِ لَجَازَ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَّا يَقْبَلُوا شَيْئًا حَتَّىٰ يَعْقِلُوا»[٤].

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: «قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ: السُّنَّةُ: السِّيرَةُ وَالطَّرِيقَةُ، فَقَوْلُهُمْ: فُلَانٌ عَلَىٰ السُّنَّةِ، وَمِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ، أَيْ: هُوَ مُوَافِقٌ لِلتَّنْزِيلِ وَالأَثَرِ فِي الفِعْلِ وَالقَوْلِ، وَلِأَنَّ السُّنَّةَ لَا تَكُونُ مَعَ مُخَالَفَةِ اللهِ، وَمُخَالَفَةِ رَسُولِهِ ﷺ.

فَإِنْ قِيلَ: كُلُّ فِرْقَةٍ تَنْتَحِلُ اتِّبَاعَ السُّنَّةِ، وَتَنْسُبُ مُخَالِفِيهَا إِلَىٰ خِلَافِ الحَقِّ، فَمَا الدَّلِيلُ عَلَىٰ أَنَّكُمْ أَهْلُهَا دُونَ مَنْ خَالَفَكُمْ؟

قُلْنَا: الدَّلِيلُ عَلَىٰ ذَلِكَ قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا

(٣) «شرح السنة» (ص٦٠).

(٤) «الحُجَّة في بيان المحجَّة» (١/ ٣٤٧).

www.menhag-um.com

نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر:٧]، فَأَمَرَ بِاتِّبَاعِهِ وَطَاعَتِهِ فِيمَا أَمَرَ وَنَهَىٰ»[١].

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَلَا نُعَارِضُ سُنَّةَ النَّبِيِّ ﷺ بِالمَعْقُولِ؛ لِأَنَّ الدِّينَ إِنَّمَا هُوَ الانْقِيَادُ وَالتَّسْلِيمُ دُونَ الرَّدِّ إِلَىٰ مَا يُوجِبُهُ العَقْلُ؛ لِأَنَّ العَقْلَ مَا يُؤَدِّي إِلَىٰ قَبُولِ السُّنَّةِ، فَأَمَّا مَا يُؤَدِّي إِلَىٰ إِبْطَالِهَا فَهُوَ جَهْلٌ لَا عَقْلٌ»[٢].

وَقَدْ تَكَفَّلَ اللهُ تَعَالَىٰ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِالْكِتَابِ أَلَّا يَضِلَّ فِي الدُّنْيَا، وَلَا يَشْقَىٰ فِي الْآخِرَةِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣].

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: «أَجَارَ اللهُ تَابِعَ الْقُرْآنِ مِنْ أَنْ يَضِلَّ فِي الدُّنْيَا أَوْ يَشْقَىٰ» قَالَ: «لَا يَضِلُّ فِي الدُّنْيَا، وَلَا يَشْقَىٰ فِي الْآخِرَةِ؛ ثُمَّ قَرَأَ ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾.

أَخْرَجَهُ -كَمَا فِي «الدُّرِّ الْمَنْثُورِ» (٥/ ٦٠٧)- الْفِرْيَابِيُّ، وَسَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ نَصْرٍ، وَابْنُ الْمُنْذِرِ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الْإِيمَانِ». اهـ

وَفِي رِوَايَةٍ قَالَ: «مَنْ تَعَلَّمَ كِتَابَ اللهِ ثُمَّ اتَّبَعَ مَا فِيهِ: هَدَاهُ اللهُ مِنَ الضَّلَالَةِ فِي الدُّنْيَا، وَوَقَاهُ يَوْمَ الْحِسَابِ سُوءَ الْحِسَابِ».

رَوَاهُ رَزِينٌ كَمَا فِي «مِشْكَاةِ الْمَصَابِيحِ» (١/ ٦٧).

---

(١) «الحُجَّة في بيان المحجَّة» (٢/ ٤١١).

(٢) «الحُجَّة في بيان المحجَّة» (٢/ ٥٤٩).

www.menhag.com

وَأَمَرَ تَعَالَىٰ بِالِاعْتِصَامِ بِهِ، فَقَالَ: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣] الْآيَةَ، وَحَبْلُ اللهِ تَعَالَىٰ هُوَ كِتَابُهُ.

كَمَا ثَبَتَ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» مِنْ حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أَلَا وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَحَدُهُمَا كِتَابُ اللهِ ﷻ، هُوَ حَبْلُ اللهِ، مَنْ اتَّبَعَهُ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ، وَمَنْ تَرَكَهُ كَانَ عَلَىٰ ضَلَالَةٍ**»(١).

وَأَخْرَجَ الدَّارِمِيُّ فِي كِتَابِ فَضَائِلِ الْقُرْآنِ مِنْ «سُنَنِهِ»، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: «إِنَّ هَذَا الصِّرَاطَ مُحْتَضَرٌ تَحْضُرُهُ الشَّيَاطِينُ، يُنَادُونَ: يَا عَبْدَ اللهِ، هَذَا الطَّرِيقُ، فَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ، فَإِنَّ حَبْلَ اللهِ الْقُرْآنُ»(٢).

وَقَالَ عَلِيٌّ الْقَارِي رَحِمَهُ اللهُ فِي «الْمِرْقَاةِ» (١/ ٣٦٥): «الْمَشْهُورُ أَنَّ الْمُرَادَ بِحَبْلِ اللهِ هُوَ الْقُرْآنُ، كَمَا وَرَدَ فِي بَعْضِ الْأَحَادِيثِ، وَالِاعْتِصَامُ بِهِ مُسْتَلْزِمٌ لِلِاعْتِصَامِ بِالسُّنَّةِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧].

وَفِي حَدِيثِ جَابِرٍ رضي الله عنه فِي صِفَةِ حَجَّةِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ: كِتَابُ اللهِ**»(٣).

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ: «قَاعِدَةٌ نَافِعَةٌ فِي وُجُوبِ الِاعْتِصَامِ بِالرِّسَالَةِ،

---

(١) مسلم (٢٤٠٨).
(٢) «سنن الدارمي» (٣٣١٧).
(٣) مسلم (١٢١٨).

www.menhag-un.com

وَبَيَانِ أَنَّ السَّعَادَةَ وَالْهُدَىٰ فِي مُتَابَعَةِ الرَّسُولِ ﷺ، وَأَنَّ الضَّلَالَ وَالشَّقَاءَ فِي مُخَالَفَتِهِ، وَأَنَّ كُلَّ شَرٍّ فِي الْعَالَمِ مُخْتَصٌّ بِالْعَبْدِ فَسَبَبُهُ مُخَالَفَةُ الرَّسُولِ أَوْ الْجَهْلُ بِمَا جَاءَ بِهِ، وَأَنَّ سَعَادَةَ الْعِبَادِ فِي مَعَاشِهِمْ وَمَعَادِهِمْ بِاتِّبَاعِ الرِّسَالَةِ.

وَالرِّسَالَةُ ضَرُورِيَّةٌ لِلْعِبَادِ، لَا بُدَّ لَهُمْ مِنْهَا، وَحَاجَتُهُمْ إِلَيْهَا فَوْقَ حَاجَتِهِمْ إِلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ، وَالرِّسَالَةُ رُوحُ الْعَالَمِ وَنُورُهُ وَحَيَاتُهُ، فَأَيُّ صَلَاحٍ لِلْعَالَمِ إِذَا عُدِمَ الرُّوحَ وَالْحَيَاةَ وَالنُّورَ؟!

وَالدُّنْيَا مُظْلِمَةٌ مَلْعُونَةٌ إِلَّا مَا طَلَعَتْ عَلَيْهِ شَمْسُ الرِّسَالَةِ، وَكَذَلِكَ الْعَبْدُ فِي ظُلْمَةٍ، وَهُوَ مِنَ الْأَمْوَاتِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام:١٢٢].

فَهَذَا وَصْفُ الْمُؤْمِنِ، كَانَ مَيِّتًا فِي ظُلْمَةِ الْجَهْلِ فَأَحْيَاهُ اللهُ بِرُوحِ الرِّسَالَةِ، وَنُورِ الْإِيمَانِ، وَجَعَلَ لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ.

وَسَمَّىٰ اللهُ تَعَالَىٰ رِسَالَتَهُ رُوحًا، وَالرُّوحُ إِذَا عُدِمَ فَقَدْ فُقِدَتِ الْحَيَاةُ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ﴾ [الشورىٰ:٥٢].

فَذَكَرَ هُنَا الْأَصْلَيْنِ، وَهُمَا: الرُّوحُ، وَالنُّورُ.

فَالرُّوحُ: الْحَيَاةُ، وَالنُّورُ: النُّورُ.

وَحَاجَةُ الْعَبْدِ إِلَىٰ الرِّسَالَةِ أَعْظَمُ بِكَثِيرٍ مِنْ حَاجَةِ الْمَرِيضِ إِلَىٰ الطِّبِّ؛

www.menhaj-un.com

فَإِنَّ آخِرَ مَا يُقَدَّرُ بِعَدَمِ الطَّبِيبِ: مَوْتُ الْأَبْدَانِ، وَأَمَّا إِذَا لَمْ يَحْصُلْ لِلْعَبْدِ نُورُ الرِّسَالَةِ وَحَيَاتُهَا: مَاتَ قَلْبُه مَوْتًا لَا تُرْجَىٰ الْحَيَاةُ مَعَهُ أَبَدًا، أَوْ شَقِيَ شَقَاوَةً لَا سَعَادَةَ مَعَهَا أَبَدًا، فَلَا فَلَاحَ إِلَّا بِاتِّبَاعِ الرَّسُولِ، فَإِنَّ اللهَ خَصَّ بِالْفَلَاحِ أَتْبَاعَهُ الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْصَارَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]؛ أَيْ: لَا مُفْلِحَ إِلَّا هُمْ.

كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

فَخَصَّ هَؤُلَاءِ بِالْفَلَاحِ كَمَا خَصَّ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ، وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُونَ مِمَّا رَزَقَهُمْ، وَيُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ رَسُولِهِ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِهِ، وَيُوقِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَبِالْهُدَىٰ وَالْفَلَاحِ، فَعُلِمَ بِذَلِكَ أَنَّ الْهُدَىٰ وَالْفَلَاحَ دَائِرٌ حَوْلَ رُبُعِ الرِّسَالَةِ وُجُودًا وَعَدَمًا»[1]. اهـ

وَأَخْرَجَ الدَّارِمِيُّ فِي «سُنَنِهِ»، وَالْآجُرِّيُّ فِي «الشَّرِيعَةِ»، بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ رَحِمَهُ اللهُ: «كَانَ مَنْ مَضَىٰ مِنْ عُلَمَائِنَا، يَقُولُ: «الِاعْتِصَامُ بِالسُّنَّةِ نَجَاةٌ»[2].

وَأَخْرَجَ مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرٍ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه، أَنَّهُ قَالَ: «لَنْ تُخْطِئَ

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (١٩/ ٩٣).

(٢) «سنن الدارمي» (٩٦)، و«الشريعة» (ص٣١٤).

الطَّرِيقَ مَا اتَّبَعْتَ الْأَثَرَ»[١].

وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِنَّكَ لَنْ تُخْطِئَ الطَّرِيقَ مَا دُمْتَ عَلَىٰ الْأَثَرِ»[٢].

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ، قَالَ: «عَلَيْكَ بِلُزُومِ السُّنَّةِ فَإِنَّهَا لَكَ بِإِذْنِ اللهِ عِصْمَةٌ»[٣].

وَأَهْلُ السُّنَّةِ أَحْرَصُ النَّاسِ عَلَىٰ الاتِّبَاعِ، وَأَكْثَرُهُمْ تَمَسُّكًا بِالسُّنَّةِ، إِذْ هُمْ أَهْلُهَا وَالأَوْلَىٰ بِهَا دُونَ النَّاسِ، وَهُمْ عَلَىٰ وَعْيٍ تَامٍّ بِخُطُورَةِ البِدْعَةِ، وَقَبِيحِ أَثَرِهَا فِي الدِّينِ، وَأَنَّهَا العَقَبَةُ الثَّانِيَةُ بَعْدَ الكُفْرِ -مِنَ العَقَبَاتِ الَّتِي يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يَظْفَرَ بِالعَبْدِ فِيهَا.

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي بَيَانِ ذَلِكَ: «عَقَبَةُ البِدْعَةِ؛ إِمَّا بِاعْتِقَادِ خِلَافِ الحَقِّ الَّذِي أَرْسَلَ اللهُ بِهِ رَسُولَهُ، وَأَنْزَلَ بِهِ كِتَابَهُ، وَإِمَّا بِالتَّعَبُّدِ بِمَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللهُ مِنَ الأَوْضَاعِ وَالرُّسُومِ المُحْدَثَةِ فِي الدِّينِ، الَّتِي لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهَا شَيْئًا، وَالبِدْعَتَانِ فِي الغَالِبِ مُتَلَازِمَتَانِ، قَلَّ أَنْ تَنْفَكَّ إِحْدَاهُمَا عَنِ الأُخْرَىٰ، كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ: تَزَوَّجَتْ بِدْعَةُ الأَقْوَالِ بِبِدْعَةِ الأَعْمَالِ؛ فَاشْتَغَلَ الزَّوْجَانِ بِالعُرْسِ، فَلَمْ يَفْجَأْهُمْ إِلَّا وَأَوْلَادُ الزِّنَا يَعِيثُونَ فِي بِلَادِ الإِسْلَامِ، تَضِجُّ مِنْهُمُ

(١) «السنة» (ص٢٨).

(٢) «طبقات الحنابلة» (١/ ٧١).

(٣) «سنن أبي داود» (٤٦١٢).

www.menhag-am.com

العِبَادُ وَالبِلَادُ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ.

وَقَالَ شَيْخُنَا [يَعْنِي: شَيْخَ الإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ]: تَزَوَّجَتِ الحَقِيقَةُ الكَافِرَةُ؛ بِالبِدْعَةِ الفَاجِرَةِ، فَتَوَلَّدَ بَيْنَهُمَا خُسْرَانُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

وَظَفَرُ الشَّيْطَانِ بِالعَبْدِ فِي عَقَبَةِ البِدْعَةِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الظَّفَرِ بِهِ فِي عَقَبَةِ الكَبَائِرِ، لِمُنَاقَضَتِهَا الدِّينَ، وَدَفْعِهَا لِمَا بَعَثَ اللهُ بِهِ رَسُولَهُ، وَصَاحِبُهَا لَا يَتُوبُ مِنْهَا، وَلَا يَرْجِعُ عَنْهَا، بَلْ يَدْعُو الخَلْقَ إِلَيْهَا، وَلِتَضَمُّنِهَا القَوْلَ عَلَىٰ اللهِ بِلَا عِلْمٍ، وَمُعَادَاةَ صَرِيحِ السُّنَّةِ، وَمُعَادَاةَ أَهْلِهَا، وَالاجْتِهَادَ عَلَىٰ إِطْفَاءِ نُورِ السُّنَّةِ، وَتَوْلِيَةَ مَنْ عَزَلَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، وَعَزْلَ مَنْ وَلَّاهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، وَاعْتِبَارَ مَا رَدَّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، وَرَدَّ مَا اعْتَبَرَهُ، وَمُوَالَاةَ مَنْ عَادَاهُ، وَمُعَادَاةَ مَنْ وَالَاهُ، وَإِثْبَاتَ مَا نَفَاهُ، وَنَفْيَ مَا أَثْبَتَهُ، وَتَكْذِيبَ الصَّادِقِ، وَتَصْدِيقَ الكَاذِبِ، وَمُعَارَضَةَ الحَقِّ بِالبَاطِلِ، وَقَلْبَ الحَقَائِقِ؛ بِجَعْلِ الحَقِّ بَاطِلًا، وَالبَاطِلِ حَقًّا، وَالإِلْحَادَ فِي دِينِ اللهِ، وَتَعْمِيَةَ الحَقِّ عَلَىٰ القُلُوبِ، وَطَلَبَ العِوَجِ لِصِرَاطِ اللهِ المُسْتَقِيمِ، وَفَتْحَ بَابِ تَبْدِيلِ الدِّينِ جُمْلَةً؛ فَإِنَّ البِدَعَ تَسْتَدْرِجُ بِصَغِيرِهَا إِلَىٰ كَبِيرِهَا، حَتَّىٰ يَنْسَلِخَ صَاحِبُهَا مِنَ الدِّينِ كَمَا تُسَلُّ الشَّعْرَةُ مِنَ العَجِينِ، فَمَفَاسِدُ البِدَعِ لَا يَقِفُ عَلَيْهَا إِلَّا أَرْبَابُ البَصَائِرِ، وَالعُمْيَانُ ضَالُّونَ فِي ظُلْمَةِ العَمَىٰ، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠]»[1].

❊ ❊ ❊

(١) «مدارج السالكين» (١/ ٢٢٨).

www.menhag-un.com